رسوم الأطفال وقيمتها النفسية والتربوية

أ. د. عادل كمال خضر

أستاذ علم النفس الإكلينيكى والتحليل النفسى

ورئيس قسم علم النفس

كلية الآداب ـ جامعة بنها

مقدمة

استخدم الإنسان الرسوم منذ القدم، ونجد هذا مسجلاً على جدران المعابد والكهوف، وما خلفته الحضارة الفرعونية، حيث كانت الرسوم هى اللغة التى يعبرون بها، حتى أن اللغة الهيروغليفية هى ذاتها عبارة عن رسوم، ومن المعروف أن اللغات القديمة كانت تعبر عن أفكارها بلغة مرسومة فى الوقت الذى تعبر فيه اللغات الحديثة عن أفكارها بالكلمات.. والرسوم من حيث هى لغة إنما هى لغة بدائية يعبر من خلالها الإنسان عن أفكاره، وأحاسيسه، ومشاعره، وأفعاله، ومعتقداته الدينية، وهذا مسجل من خلال النقوش الخاصة بالفراعنة فى المعابد..

كذلك نجد أن صغار الأطفال يعبرون بتلقائيتهم، المعروفة على جدران المنازل وفى الشوارع يعكسون خلال ذلك مشاعرهم الحقيقية تجاه أنفسهم والآخرين، ومن ثم كانت الرسوم وسيلة ممتازة لارتياد عالم الطفل، فى الوقت الذى تكون فيه اللغة المنطوقة قاصرة ـ مع الأطفال ـ عن تحقيق ذلك. وقد أثبتت الدراسات النفسية التحليلية للأطفال أننا نستطيع من خلال الرسم الحر الذى يقوم به الطفل أن نصل إلى المحتوى اللاشعورى عنده، والتعرف على مشكلاته وما يعانيه وكذلك التعرف على ميوله واتجاهاته ومدى اهتمامه بموضوعات معينة فى البيئة التى يعيش فيها وعلاقته بالآخرين سواء فى الأسرة أو الرفاق أو الكبار.

ومن ثم يعتبر الرسم أداة جيدة لفهم نفسية الطفل ومشاعره واتجاهاته ودوافعه وتصوره لنفسه وللآخرين. وإذا كان الراشد يستخدم الكلام كلغة أولى يستطيع التعبير من خلالها، فإن الطفل لا يستطيع أن يطوع الكلمات وفق مقاصده وما يكتنفه من أحاسيس ومشاعر ورغبات وإحباطات، وعلى هذا فلغة الكلام بها من القصور ما يجعل تواصلنا مع الأطفال ضعيفًا، وفى أضيق الحدود، وكان لابد من مدخل آخر لإقامة الحوار وتحقيق التواصل مع الطفل من خلال لغة بديلة، يفصح من خلالها الطفل بأسمى التعبيرات البلاغية التى تنبع من أعماقه ومشاعره، ألا وهى لغة الرسم.

وتعد رسوم الأطفال من الموضوعات التى يهتم بها عالم النفس والمحلل النفسى بوجه خاص، كما يهتم بها العاملون فى مجال الفن وبخاصة العاملون فى حقل التربية الفنية. كذلك يهتم برسوم الأطفال كل من المعالج النفسى، والأخصائى النفسى، والأخصائى الاجتماعى، والمربون، والآباء.. غير أن طبيعة اهتمامهم برسوم الأطفال ليست واحدة، فلكل منهم اهتمامات خاصة ترتبط أكثر ما ترتبط بالمهنة التى ينتمى إليها كل متخصص، وفى ضوء ذلك يكون لكل منهم هدفه الواضح من الحصول على رسوم الأطفال.

ومما لاشك فيه، أن المتخصص فى علم النفس يهدف من دراسة رسوم الأطفال، إلى الوصول لمعنى هذه الرسوم ودلالتها النفسية، ذلك أن كل ما يصدر عن الإنسان ـ وبالتالى ما يصدر عن الطفل فى شكل رسومات – له معنى ودلالة، سواء صدر عنه فى صحته أو مرضه، فطالما أنه نتاج إنسانى فإنه لا يكون نتاج المصادفة أو غفلاً من المعنى، ولكنه بالأحرى نتاجاً محتوماً. وقد يتم أحياناً على مستوى الوعى، وأحياناً أخرى يتم لاشعورياً.

والحقيقة فإن الدراسة السيكولوجية لرسوم الأطفال ذات أهمية كبيرة للمحلل النفسى، تتضح هذه الأهمية فى قيمتها التشخيصية. فالرسوم التى يقوم بها الأطفال تقدم للمعالج سجلاً لتاريخ حياة الطفل، يمكن للمعالج بدراسته تشخيص المرض النفسى الذى ينتاب الطفل ومعرفة أسبابه، فيقترح العلاج المناسب له، كما تفيد دراسة سيكولوجية رسوم الأطفال أيضًا عالم النفس حيث يمكنه أن يعتمد عليها فى قياس ذكاء الأطفال، ومعرفة قدراتهم المختلفة عامة، ذلك أن رسوم الطفل لا تعكس شخصيته فحسب، وإنما تعتبر فى الواقع نموذجًا حيًا لحالة الطفل: العقلية والنفسية والجسمية والتى ينفس عنها فى أثناء تعبيره (محمود البسيونى: ١٩٨٤).

وهذه الدراسة تجيب على التساؤل التالى: ما هى القيمة النفسية والتربوية لرسوم الأطفال وكيف يمكن أن

يستفيد الكبار (أخصائيون، آباء، معلمون) من هذه الرسوم فى فهم حالتهم النفسية ؟

وفى إجابتنا على هذا التساؤل نعرض للمحاور الثمانية التالية:

أولاً - تطور رسوم الأطفال :

فيما يتعلق بتطور رسوم الأطفال فقد أظهرت دراسة الرسوم المبكرة للأطفال أن ثمة تطور دال ومنتظم قد وجد فى رسوم الأطفال التى تبدو غير هادفة ولا قيمة لها، فهى من ناحية تعد كمؤشر يوضح لنا مدى نمو الأطفال فى المقدرة على الرسم، وفى زيادة السيطرة على الخط والشكل، ومن ناحية أخرى فإن التقدم فى الرسم هو تعبير عن التفتح التدريجى لعقل الطفل، فالرسم مثل الكلام؛ وسيلة للتعبير (Eng: 1954)، وهذا يعنى أن رسوم الأطفال إنما تعد وسيلة للاتصال مع الطفل كما أنها تعبر عن نمط المجتمع الذى يعيش فيه وهى أيضاً دليل على نموه العقلى، وإذا ما استطعنا فهم رسوم الأطفال فهماً جيداً يمكن لنا أن نفهم الأطفال ونموهم بشكل جيد (Goodnow: 1977).

وبشكل عام فإن الرسوم الأولى تكون رمزية ، وليست بنسخ مباشرة للأشياء، والطفل يرسم الأشياء كما تجود بها ذاكرته، وهو يحشد من التفاصيل ما يثير اهتماماته، ولكنه لا يهتم بالنسب أو المنظور. ومع سن السادسة تقريباً يحاول الطفل أن يستنسخ ما يراه فى رسومه، ويبدأ النظر إليها بدقة واضعا فى الاعتبار الحجم والمنظور وصحة التفاصيل، وحينما يصل الطفل إلى سن الثمانى سنوات تقريباً، يكون الرسم المنظورى قد نما لديه جيداً (فيولا الببلاوى : ١٩٧٩).

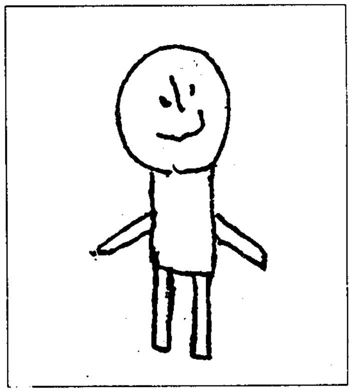
وبشكل عام فإن رسوم الأطفال تمر عبر ثلاث مراحل رئيسية تتلخص فيما يلى :

١- مرحلة التخطيط، ٢ - مرحلة الرمزية، ٣ - المرحلة الاصطلاحية.

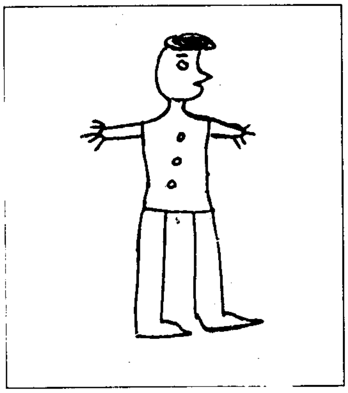
ففى الأولى يخطط الطفل وينوع فى هذه التخطيطات، وهى بالنسبة إليه أشبه بتمرين العضلاتَ وإخضاعها لعمليات إيقاعية كثيرة، أما فى الثانية فنشاهد فيها تحولاً من التخطيطات إلى أنواع من الإيجاز الشكلى، أما فى المرحلة الثالثة فتكون البيئة قد أثرت على الطفل، ويبدأ يعى المظاهر التى حوله ولكن بالصورة التى يصطلح عليها الناس (محمود البسيونى : ١٩٨٤).

وأول رسم يقوم به الطفل عادة ما يأخذ نموذجًا له شكل الإنسان، وإن كان الأطفال يرسمون أيضًا صوراً لحيوانات وأشياء أخرى (Eng: 1954) . وعندما يرسم الطفل شكل الإنسان عادة ما يبدأ بالرأس، حيث يرسم فيها عادة زوجاً من العيون، ويضيف إليها ذراعين ورجلين، وعندما يزداد تفطنه لجسم الإنسان يبدأ فى رسم الجذع، ثم تزداد التفاصيل التى يرسمها فى العدد، وتصبح أكثر واقعية؛ فيبدأ فى إدراك علاقتها النسبية، فيدرك العلاقة بين طول الذراعين والرجلين وطول الجذع، والعلاقة بين حجم الرأس وباقى الجسم.. الخ، ثم يفطن إلى العلاقة المكانية فيلصق الذراعين والساقين إلى الجذع بدلاً من الرأس (لويس مليكه : ١٩٩٠).

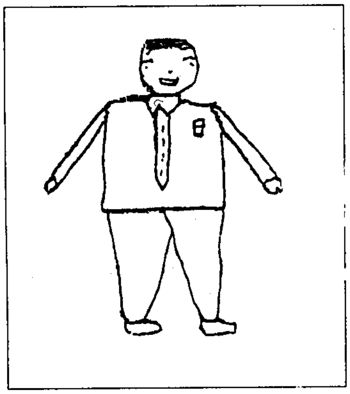
وقد وجد Gildesgame فى دراسته عن تطور رسوم الأطفال لشكل الإنسان، أن تنظيم العناصر الفنية يتغير بانتظام مع السن، وأن شكل الإنسان يصبح أكثر ازدياداً واكتمالاً مع التقدم فى السن، وكذا تزداد أجزاء الجسم متقنة الرسم مع السن (Gildesgame: 1982) ، أنظر الرسوم أرقام :[(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥).



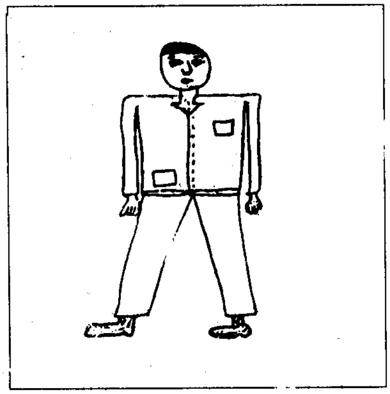
رسم رقم (١)
الاسم / يوسف سيد محمد
السن / ٧ سنوات



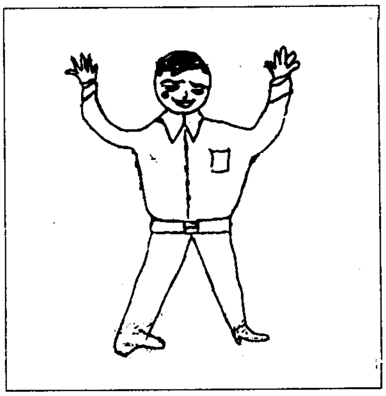
رسم رقم (٢)
الاسم / أيمن عبد الغنى
السن / ٩ سنوات



رسم رقم (٣)
الاسم / حسام ممدوح حسن
السن / ١١ سنة



رسم رقم (٤)
الاسم / فتحى حامد السيد
السن / ١٣ سنة



رسم رقم (٥)
الاسم / تامر محمد على
السن / ١٥ سنة

ثانيًا ـ رسوم الأطفال تعبر عن مفهومهم عن ذاتهم :

لقد لوحظ من خلال فحص الأعمال الفنية المبدعة لعدد من الأفراد أنهم يعبرون فى رسومهم عن قصد ـ وأحيانًا بدون وعى ـ عن مفهومهم لذاتهم كما هى فى الواقع أو كما يودون أن تكون، ويعبر Tunnelle عن هذه الظاهرة بقوله : «إن الفنان لا يرى الأشياء كما هى عليه فى الواقع ولكن كما يعيش من خلالها»، كما يعبر عنها Hubbard حيث يقول : «عندما يرسم الفنان صورة، فإنه يرسم اثنين نفسه والجالس أمامه»، ويقول هامر : «دعنى أقرأ ما تكتبه أو أرى ما ترسمه أقول لك من أنت» (Hammer: 1958).

وبالنسبة لرسم الأطفال لشكل الإنسان فقد وجد أن هناك ثمة علاقة بين حجم الشكل ومفهوم الذات لدى الشخص القائم بالرسم، وفى هذا يشير هامر إلى أنه إذا كان شكل مفهوم الذات صغيراً فإننا نفترض أن المفحوص يشعر بالضآلة أو عدم الكفاءة، وأنه يستجيب لمطالب البيئة بمشاعر النقص والدونية، أما إذا كان الشكل مبالغًا فى الضخامة فيعنى أن المفحوص يستجيب لضغط البيئة بمشاعر التضخم والعدوان (Hammer: 1958)، كذلك وجد Gray & Pepitone أن المفحوصين الذين يتميزون بانخفاض فى تقدير الذات يرسمون أشخاصًا صغيرة الحجم (Roback & webersinn: 1966, P. 416).

ثالثًا - رسوم الأطفال تعبر عن علاقاتهم الاجتماعية وقيم مجتمعاتهم ومظاهر حضارتهم :

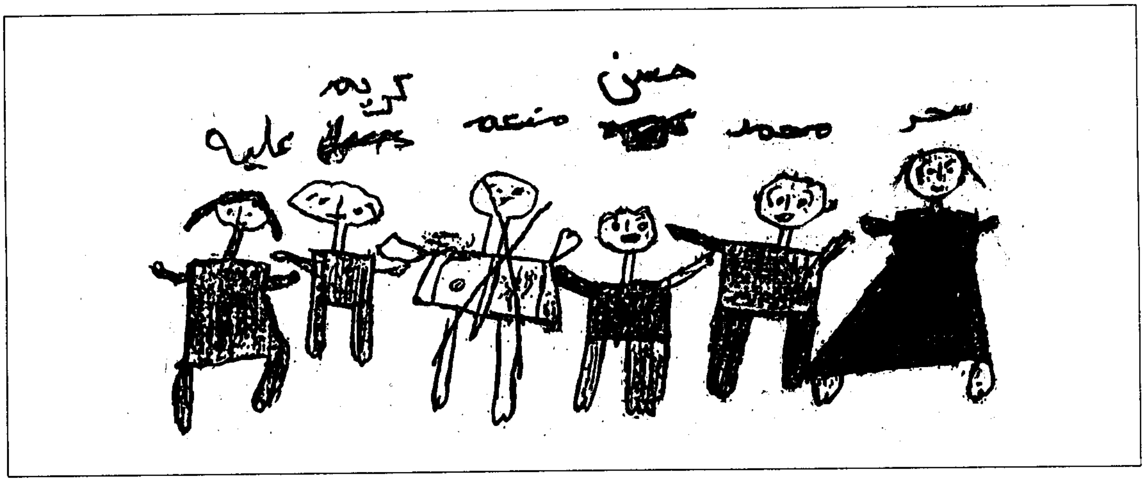
والرسوم أيضاً مرآة تعكس المشاعر الاجتماعية للطفل وعلاقاته داخل الأسرة، وهى تمثل صورة جسمه، وما يشعر به نحو جسمه، ومشاعره واعتقاداته تجاه أجسام الآخرين، حيث يؤكد أو يحذف أجزاء متنوعة من الجسم وفقًا لمشاعره نحوها، إنها تعكس أفكاره وخبراته حتى عندما يرسم أشكالاً أخرى، حيوانات، منازل، آلات، طائرات (Gondor: 1954). ويعبر الأطفال من خلال رسومهم كذلك عن قيمهم، وقيم مجتمعاتهم، ومرجع ذلك أن معظم القيم التى يعتنقها الأطفال مبلغة إليهم من الكبار، وهذا يعنى أن دراسة رسوم الأطفال سوف تمدنا بمعلومات ليس فقط عن الأطفال، ولكن أيضًا عن الكبار والراشدين الذين يندمجون معهم (Dennis: 1966).

والطفل من خلال التعبير بالرسم يعكس حضارته سواء ما تحتويه من مظاهر البيئة الخارجية التى يعيش فيها الطفل أو مظاهر اجتماعية من عادات وتقاليد، ذلك أن الطفل الصغير لا يعيش فى معزل عن الأحداث التى تدور من حوله، وتعد فنونه بمثابة المرآة التى يعكس من خلالها كل مدركاته ومعارفه عن العالم الخارجي، ويكشف من خلالها عن انطباعاته تجاه الموضوعات المختلفة فى بيئته، ومن ثم نجد أن معظم الأشخاص والعناصر التى يضمنها الطفل فى رسومه لها علاقة فعلية بالأشخاص والموضوعات التى يعايشها فى بيئته والتى تثير اهتمامه حتى يمكن لنا القول بأن الطفل يعكس فى رسوماته السمات الأساسية لبيئته وحضارته، حيث نجد الطفل المصرى يعبر عن النخيل وعن العربات الكارو، وعن زحام المواصلات وعروسة المولد، فى حين نجد الطفل الأوروبى يعبر عن الثلج والبيوت الجمالونية وبابا نويل (عبلة عثمان : ١٩٨٠).

رابعاً : رسوم الأطفال وفائدتها للآباء والمربين:

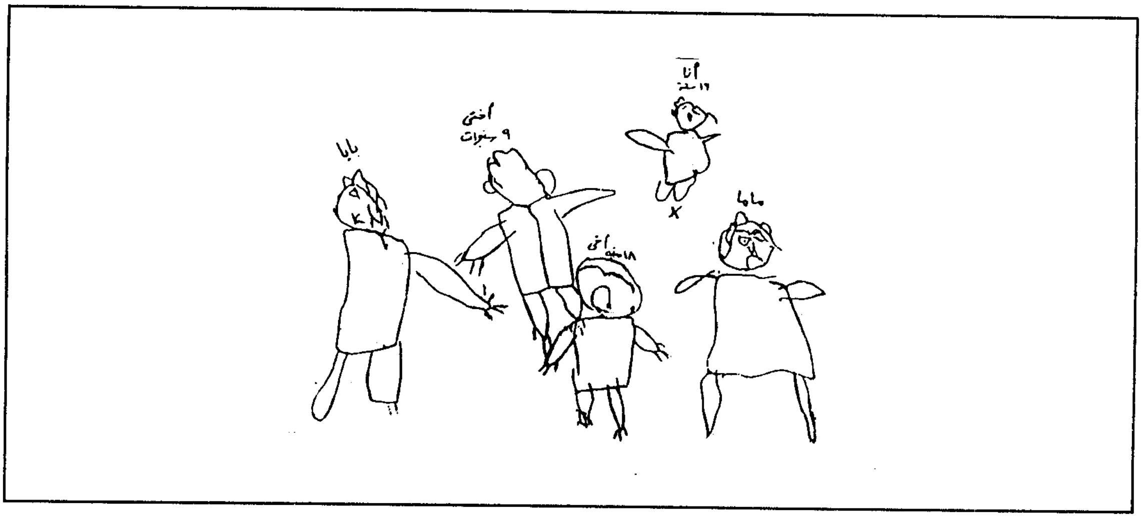
من الملاحظ أن أغلبية الآباء والمربين لا يلتفتون إلى رسوم أطفالهم ولا يعيرونها اهتمامًا كافياً ويلقون بها فى سلة المهملات دون محاولة النظر فيها لتفهم ما يدور فى عقول أبنائهم من حوار، فرسومهم هى لغتهم التى يجب أن نتفهمها جيداً كى نستطيع أن نتواصل بشكل جيد معهم ويسهل لنا فهم دوافعهم ومن ثم توجيههم وإرشادهم. وتشير Gondor إلى أنه يتضح فى رسوم بعض الأطفال أنهم ينقلون عدوانهم إلى صفحة الرسم، حيث يرسمون أشخاصًا معينين، وبعد ذلك يمزقون الرسم أو يسودونه، وربما يرغب هؤلاء فى أن يأخذوا بالثأر، حيث يحطمون بهذه الطريقة الشخص الذى يحملون له الضغينة أو الذى يشعرون بخطره عليهم، وهم يشعرون بالإثم العظيم للاعتراف بهذه المشاعر ضد هؤلاء الأشخاص، ولكن

بهذه الطريقة ربما يعبرون ويفرغون مشاعرهم الحقيقية (Gondor: 1954) . تلك التى لا يستطيعون أن يوجهونها تجاه الآخرين فى الواقع نظراً لضعفهم من جهة، ولكونها منافية للأخلاق من جهة أخرى، وهذا ما يتضح من الرسم رقم (٦)، حيث قام الطفل برسم أسرته، ولكنه عند رسم الشكل الخاص بجده (منعم)، قام بتمزيق الشكل ونفيه بعلامة (X)، وربما يعكس ذلك رغبة الطفل فى أن يخرج هذا الجد من الأسرة، حيث كان الجد يعاقب الطفل باستمرار، وهذا مما يؤلم الطفل، ولما كان الطفل لا يستطيع أن يدافع عن نفسه أو يهرب من العقاب، وكذا لا يستطيع أن يثأر لنفسه من جده فى الواقع، فقد عبر عن ذلك فى رسمه حيث قام بتمزيق جده، ورد العقاب عليه، وسود عليه بالقلم الأسود تمنياً لعدم وجوده فى الأسرة.



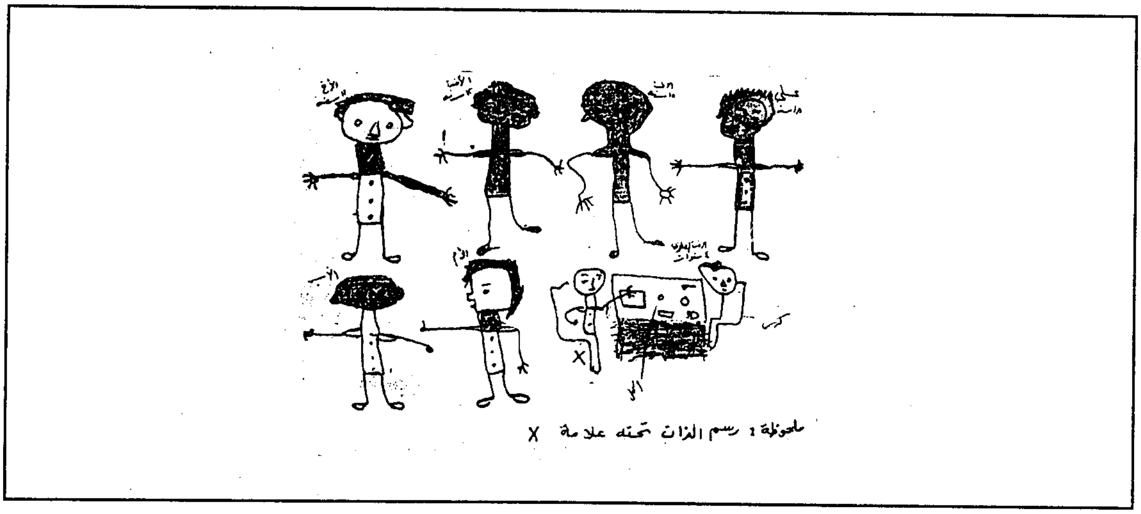
رسم رقم (٦)

وقد وجد الباحث أن رسم الطفل لأسرته يعد من العلامات الدالة على وضعه داخل أسرته كما يراه، ففى حالة مراهقة عادية الذكاء تبلغ من العمر ١٩ عاماً، تعانى من شلل دماغى قامت برسم نفسها آخر فرد فى الأسرة وبحجم أصغر من الأخوة الأصغر كتعبير منها عن إحساسها بعدم القيمة داخل أسرتها، وضعف استيعاب الأسرة لها وإحساسها بكونها معزولة، ويعكس ذلك أيضاً إحساسها بالقصور وقلة الحيلة [أنظر الرسم رقم (٧)]. كذلك وجد أن الجانحين يميلون إلى رسم أنفسهم أصغر فى الحجم من أخوتهم الأصغر أو مساوين لهم فى الحجم، وهذا يدل على شعور الجانحين بعدم الثقة فى النفس ورغبة فى التملص من المسئولية وهروب من الواقع الحالى إلى الماضى، لاستعادة الاهتمام الذى كان موجهاً لهم فى طفولتهم ذلك الذى أصبح موجهاً الآن لأخوتهم الأصغر (عادل خضر : ١٩٨٩)، وهذا ما يتضح من رسم لأحد الجانحين يبلغ من العمر ١٦ عاماً قام برسم نفسه فى حجم أصغر من أخوته الأصغر منه فى العمر [أنظر الرسم رقم (٨)].



رسم رقم (٧)

ملحوظة : رسم الذات أسفله علامة ، ويجب الإشارة إلى أن الحالة تعانى من إعاقة حركية بسيطة فى الساقين والقدمين وإعاقة شديدة فى اليدين وبخاصة الأصابع التى تستخدمها بصعوبة شديدة.



رسم رقم (٨)

ملحوظة : رسم الذات تحته علامة ×

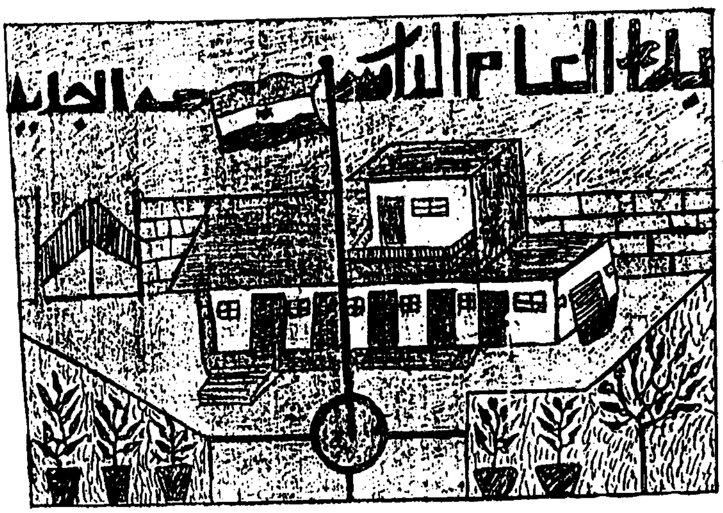
وتشير Gondor لحالة طفل يبلغ من العمر ٦ سنوات لأسرته، حيث قام برسم نفسه فى حجم شقيقه الذى يبلغ من العمر ٦ شهور، نظراً لكون الصغير أصبح منافساً قوياً أخذ منه انتباه الأسرة (Gondor: 1954)، وهنا نجد الطفل قد نكص إلى مرحلة مبكرة من حياته هى مرحلة الرضاعة رغبة منه فى الحصول على الاهتمام الذى تحول عنه إلى الصغير. كذلك وجد أن رسوم الأسرة عند المرضى المكتئبين تختلف بوضوح عن رسوم الأسوياء للأسرة، وأن إدراك المرضى المكتئبين لشكل الأسرة يزداد تحسناً مع العلاج، فهم يرون أنفسهم وقد أصبحوا أكثر

اندماجاً مع الأسرة، وأكثر فعالية، وأكثر تنظيماً، كما أن استخدامهم للألوان يصبح أكثر ثراء، وأكثر استخداماً للمساحات البيضاء فى الورقة. وتتسق هذه التغيرات مع طبيعة الأعراض الشائعة عند المكتئبين، مثل تحقير الذات وفتور الهمة، وضعف الاهتمامات والإحساس باليأس (محمود الزيادى: ١٩٨٧).

خامساً - رسوم الأطفال وفائدتها للمرشد والمدرس والتربوى :

يمكن للمرشد المدرسى ومدرسى الفصول أن يفهموا الدوافع الخفية لدى التلاميذ من خلال فهم رسومهم، فالرسم أداة قيمة لفهم حالات الطفل الانفعالية ومدى قوة وضعف الشخصية، وربما تكون المعلومات عن استخدام وتحليل هذه الرسوم أداة مهمة للمرشدين بالمدرسة الابتدائية فى جهودهم لفهم الحالات الانفعالية لتلاميذهم (Protinsky: 1978). وفى هذا يشير Feather إلى أنه كثيراً ما كان يطلب من الطلبة سيئى التوافق أن يقوموا برسم الشخص، وتبين له أن رسوم شكل الإنسان غنية فى محتواها التحليلى النفسى، وكانت وسائل ذات قيمة لكونها تساعد فى التشخيص وفى التعرف على مدى التقدم فى العلاج (Feather: 1953). وفى رسم لأحد التلاميذ بالمرحلة الإعدادية عبر فيه عن ابتداء العام الدراسى الجديد بأن رسم مدرسة جميلة، ولكنه أغلق باب المدرسة وأغلق كل أبواب وشبابيك الفصول، ولم يرسم التلاميذ موجودين داخل المدرسة، وهو يعبر بذلك عن رغبته فى ألا يبدأ العام الدراسى الجديد (عادل خضر: ١٩٨٩) [أنظر الرسم رقم (٩)].

كذلك ففى رسم قام به طفل فى العاشرة عن معركة دنشواى قام برسم مجموعة من المشانق تتدلى منها بعض النسوة ولم يشنق الطفل أى رجل، واتضح بعد مناقشة الطفل أنه يكره الدادا القائمة على تربيته ويود لو تخلص منها (عبلة عثمان: ١٩٨٠) ونلاحظ هنا أن الرسم سهل للطفل تحقيق رغبته الآثمة فى قتل الدادا على المستوى المتخيل، معلناً للجميع كراهيته لها، بل حدث تعميم الكراهية لكل السيدات مما يستدعى تدخل الأخصائى النفسى المدرسى للتوجيه والإرشاد.



رسم رقم (٩)

سادساً - رسوم الأطفال تعبر عن خبراتهم القوية المفرحة والصادمة:

إن الخبرات الشديدة التي يعايشها الأطفال تؤثر في مشاعرهم وسلوكهم، وإذا كان الأطفال لا يتحدثون عنها مباشرة فإنهم يعكسونها في رسوماتهم التي هي سبيلهم لإيضاح أفكارهم ومشاعرهم تجاهها.. ويشير باك إلى كون الرسوم تعكس خبرات الأفراد وخاصة فيما يتعلق باللحظات الحرجة من حياتهم (Bach : 1975). ويجد هذا تأييداً فيما توصل إليه England حينما سأل مجموعة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين ١٠ إلى ١٤ سنة أن «يرسموا أهم حدث في حياتهم» فاتضح أن سبعة وعشرين في المائة من الرسوم كانت تعبر عن المخاوف، وأن الغالبية العظمى من رسوم مواقف الخوف تعكس حوادث هامة صدمية في حياتهم (Goodenough & Harris: 1950).

ولعل أصعب اللحظات الحرجة في حياة الأطفال هي التي يتعرضون فيها لخبرات الحرب التي هي مفروضة عليهم بكل آثارها السلبية على حياتهم، ولعل أثر هذه الحروب يظل في مخيلتهم، ويخرج عبر أحلامهم ورسوماتهم ففي رسوم الأطفال المصريين التي تعبر عن نصر أكتوبر ١٩٧٣ لاحظ الباحث الحالي أن الجندي المصري يتم رسمه بواسطة الأطفال المصريين في حجم كبير بشكل مبالغ يضاهي حجم الدبابة دلالة على قوة الجندي المصري المنتصر على العدو الإسرائيلي، بينما في رسوم أطفال الانتفاضة بفلسطين العربية، فقد لاحظ الباحث خلاف ذلك حيث يعبر طفل الانتفاضة برسم الجندي الإسرائيلي بحجم كبير مدجج بالسلاح الحديث، بينما يرسم أطفال الانتفاضة في حجم صغير ليس لهم ملامح واضحة بيدهم الأحجار التي يلقونها على العدو..

كما لاحظ الباحث أن الأطفال الذين يعانون من خبرات صادمة من جراء العدوان الإسرائيلي على منازلهم، يعكسون في رسومهم الواقع المرير والخبرات الصادمة التي عايشوها، حيث يرسمون جثث الشهداء ملقاة في الشوارع، والمنازل المهدمة، ورسم عربة الإسعاف التي تحاول إنقاذ الضحايا، بينما يوضح الطفل مظاهر القوة الإسرائيلية من خلال رسم الدبابات والطائرات الإسرائيلية وهي ترمي قذائفها على المنازل الفلسطينية وتدمرها.

سابعًا - رسوم الأطفال واستخدامها في التشخيص النفسي :

إن استخدام الرسم كأداة تشخيصية يقوم أساسًا على مسلمة مؤداها أن الرسم إنما هو إسقاط لمفهوم الشخص القائم بالرسم عن ذاته وعن الآخرين في بيئته وعالمه الذي يعيش فيه ومن خلاله، فالرسم الذي يقوم به الفرد - وخاصة التلقائي - إنما يعكس أبعاد شخصيته الكلية وحالته العقلية والجسمية (Bach: 1975). ويعرب الكثيرون عن الاعتقاد بأن الأطفال المضطربين وسيئي التوافق ربما يكشفون عن دلالات في رسومهم يمكن من خلالها استنتاج طبيعة وأسباب مشكلاتهم (Goodenough & Harris : 1950)، كما أن الرسم يمثل في بعض الأحيان بالنسبة للطفل المريض الصفحة التي يمكنه أن يعكس عليها ألوان صراعاته ومكبوتاته، وما أخفق في تحقيقه، وتلك الآلام التي يعانيها نتيجة ضغط المجتمع عليه وإغفاله وعدم الاعتراف بحاجاته (محمود البسيوني : ١٩٨٣). فعلى ورقة الرسم يسقط المفحوص عالمه الداخلي وسماته واتجاهاته وخصائصه السلوكية، ومدى قوة وضعف شخصيته (Hammer: 1960). ذلك أنه قد وجد أن العمليات النفسية الأساسية تكون نشطة في الرسوم التلقائية،

وهى تتكامل مع كل النشاط (النفسجسمى)، ومن ثم فإن دراسة الرسوم التى يقوم بها الطفل ربما تساعد على فهم شخصيته الفردية ومشكلاته وحاجاته الاجتماعية (Eng: 1954). كما أن الرسوم تتيح أحكامًا مضبوطة تغطى انفعال المفحوص ونضجه (النفسجنسى)، وقلقه وإثمه وعدوانه، وكثيراً من سمات أخرى، وأن تحليل رسم عشوائى لمن يدعون بالأسوياء، قد يميط اللثام عن صراعات عصابية وقلق وميول سيكوباتية ولمحات بارانويدية، وعدم نضج انفعالى واجتماعى (Machover: 1949).

واستخدام الرسم كأداة تشخيصية يمكن أن يتم من خلال أساليب الرسم المتعددة مثل رسم الشخص أو رسم حيوان أو غيرها، وكذلك من خلال الرسم الحر الذى يقوم به الأفراد، وعلى سبيل المثال فقد وجد كامبو و فيلر فى دراسة لهما للتعرف على الفائدة الإكلينيكية من اختبار رسم حيوان، أن رسم الحيوان يتضمن معلومات ـ أكثر من رسوم الإنسان – عن الدوافع الفمية والشرجية وأنها ترتبط بشكل محكم بأعراض وعلل معينة (Campo & Vilar 1978)، غير أن معظم علماء النفس الإكلينيكى قد اتفقوا على أن رسم شكل الإنسان يعد أداة إسقاطية قيمة لتشخيص وتقييم الأطفال ذوى المشاكل الانفعالية (Koppitz: 1966).

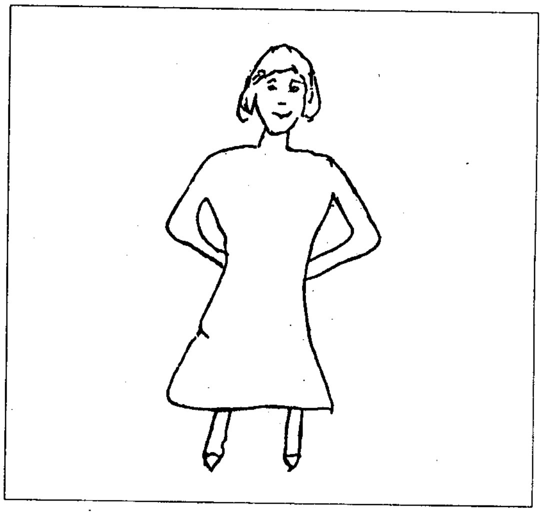
ثامناً : رسوم الأطفال واستخدامها فى العلاج النفسى :

إن العلاج النفسى يقوم أساسًا على حوار يتم بين طرفين (مريض ـ معالج)، هذا الحوار يتم غالبًا من خلال تبادل الكلمات. غير أن المرضى من الأطفال قد لا تمكنهم اللغة المنطوقة من إقامة حوار يعكسون من خلاله طبيعة مشكلاتهم ومن ثم لجأ المعالجون النفسيون إلى وسائل أخرى يمكن الاستعانة بها لإقامة الحوار وتحقيق التواصل مع المرضى وخاصة مع الأطفال، وذلك من خلال استخدام الرسم باعتباره لغة تعبيرية انفعالية (عادل خضر : ١٩٩٣). وكلمة لغة تعنى أن الشخص يستخدم الرسم كوسيلة للاتصال بغيره من البشر، فعن طريق هذه الرسوم ينقل الشخص خبرته للرائى الذى يستطيع بدوره أن يقرأ من خلال الرسوم هذه الخبرة، وبالتالى يفهم الكثير مما يدور فى عقل هذا الشخص وما يثير اهتمامه، فالرسم كلغة تعبيرية يعنى نقل المعانى كما يعنى القدرة على الاتصال بالآخرين (محمود البسيونى : ١٩٧٥).

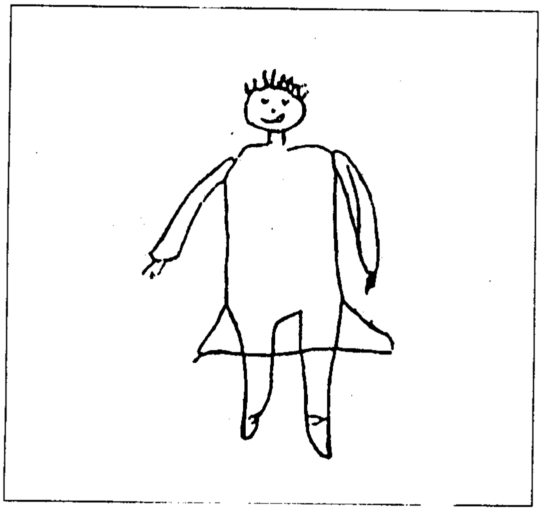
إن الرسم لغة رمزية مصورة، والرمز ضرورة للإفصاح عن الأفكار المقلقة، التى لا تجد سبيلها إلى التحقيق فى الحياة العادية (محمود البسيونى : ١٩٨٣)، فعندما تكون هناك صعوبة لدى المرضى فى التعبير اللفظى عما يشعرون به، فإن المعالج يمكنه أن يقترح عليهم رسم خبراتهم (أنطونى ستور : ١٩٩١)، ذلك أن القيام بالرسم ييسر على الفرد الذى يعانى من صعوبات انفعالية الانتقال من الرسم إلى التعبير اللفظى، هذا فضلاً عن أنه وسيلة مفيدة فى خلق الظروف المؤدية لتكوين علاقة طيبة بين الفاحص والمفحوص (لويس مليكه : ١٩٩٠). بل إن التجارب العديدة لتحليل نفسية الأطفال، قد أثبتت أنه من السهل أن نصل رأساً إلى الحالات اللاشعورية عند الطفل باستخدام الرسم الحر (أنا فرويد : د. ت). لذا يوصى هامر بترك كراسة رسم إلى جوار المريض فى الجلسات العلاجية (لويس مليكه : ١٩٩٠).

ونظراً لأن الخبرات الداخلية للمريض تترجم بسرعة إلى صور بدلاً من كلمات، فإنها تيسر التنفيس عن المادة

العميقة، ومن ثم يزداد الاحتمال فى أن يحقق العلاج عن طريق الفن التقدم بسرعة أكبر سواء أكان هذا العلاج أساسيًا أم مساعداً (لويس مليكه : ١٩٩٠) . وفى هذا يشير Halliday إلى أهمية استخدام الفن فى العلاج مع الأطفال المضطربين، حيث يمكن لنشاط الفن أن يهيئ هؤلاء الأطفال للعلاج كما أن الرسوم تعد سجلاً بصرياً ثابتًا للتعرف على مدى تقدم المريض أثناء العلاج (Halliday : 1979) . وعلى هذا فإن تطور الرسوم بالنسبة للمعالج النفسى التمرن، يعد وسيلة جيدة للتحقق من تقدم المريض نحو الشفاء، وفى هذا المقام يمكن مقارنة رسوم المريض فى بداية العلاج النفسى وبعد انتهاء العلاج (جوليت بوتونيه : ١٩٥٧)، ومثال ذلك الرسم رقم (١٠) الذى قامت به إحدى المريضات قبل وبعد العلاج حيث يظهر مدى التحسن فى رسم الشخص بعد العلاج من حيث نوعية الرسم بشكل عام، وأن الشكل أصبح أكثر رفعة وحنكة من حيث رسم الرأس والجسم، كما اختفت الشفافية (handler: 1985) . وهنا يبرز أهمية الصور وفائدتها، إذ من الممكن الاحتفاظ بها والعودة إلى النظر فيها مرة أخرى، بينما الألفاظ قد تنسى إذا لم تسجل، ويرسم بعض المرضى أحياناً صوراً متسلسلة تسجل تقدمهم الانفعالى بشكل مدهش (أنطونى ستور : ١٩٩١) .



بعد العلاج



قبل العلاج

رسم رقم (١٠)

هذا وقد نوقش استخدام الرسم كأسلوب علاجى للأشخاص سيئى التوافق فى دراسات عديدة، وبشكل عام فإن هذه النظرية للعلاج تفترض أن الرسم يعامل على أنه شكل من التنفيس يعبر من خلاله الشخص عن مشاكله (Goodenough &Harris: 1950)، حيث اتضح من دراسة Leroy & Derdeyn أن رسوم الشخص المريض خلال العلاج تعد بمثابة عرض واضح مصور لتطور إجراءات العملية العلاجية (Leroy & Derdeyn: 1977) . بينما ظهر من دراسة Remotique - Ano أن الاستعانة بفنان لرسم أفكار قصة تحكى لطفلة فقيرة الاتصال

بالآخرين، قد أدى عبر الجلسات إلى تحسن مفهوم الطفلة لذاتها ووسع من مقدرتها على الاتصال بالآخرين (Remotique - Ano: 1980). وتبين من دراسة Pagady & Bebjakova أن الرسوم تعطى استبصاراً للعملاء بمشكلاتهم، مما يكون له أثر كبير فى العلاج النفسى (Pagady & Bebjakova: 1982). وتؤكد دراسة (Stanojevic & Radulvic) على أن الرسم وسيلة فعالة لتحليل السلوك، حيث يمكن للمعالج أن يربط الرسوم بخبرات المريض التى أودت به إلى الاضطراب الانفعالى (Stanojevic & Radulvic: 1982). وأيضًا اتضح من دراسة Manloney أنه يمكن استخدام الرسم فى العلاج الأسرى، حيث تبين له أهمية الرسوم فى التهيئة للدخول فى مشكلات الأسرة (Manloney: 1983). كذلك اتضح من دراسة عادل خضر أهمية الرسم باعتباره تعبيراً عن مفهوم الذات، وكذا أهميته فى الكشف عن المشكلة أو المرض، كذلك اتضح أن الرسم إنما هو لغة جيدة لإقامة الحوار وتحقيق التواصل بين المعالج والمريض، وأنه تنفيس عن الرغبات المكبوتة فى اللاشعور، وعن طريقه يتم الاستبصار وإعادة التعلم والتكيف مع الآخرين كما أنه يلقى الضوء على مسار العلاج ومدى التقدم الناتج عنه (عادل خضر: ١٩٩٣).

خاتمة :

يلاحظ مما سبق أن الرسم لغة تعبيرية انفعالية يجيد الطفل الحديث بها، وعلى الراشد أن يتعلم كيف يفك رموزها، فرسوم الأطفال من حيث كونها لغة يتم عن طريقها (التفريغ) وبتحليلها يتم (التشخيص)، ومن خلال إقامة الحوار حول أفكارها يتم (العلاج)، وأنه يمكن لنا التعرف على مدى تقدم العلاج عن طريق تتبع الرسوم المتتالية، وبحث علاقتها بعضها بالبعض الآخر.. كذلك تبين لنا مدى الفائدة النفسية والتربوية للأخصائيين والتربويين والآباء إذا هم وضعوا فى اهتمامهم قراءة رسوم أطفالهم.



المراجع العربية

١ - **أنا فرويد:** علاج الطفل بالتحليل النفسى. ترجمة: سمير بولس التنداوى، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، د ت.

٢- **أنطونى ستور** : فن العلاج النفسى. ترجمة : لطفى فطيم، القاهرة : دار وليد، ١٩٩١ .

٣- **جولييت بوتونيه** : رسوم الأطفال. تعريب : خالد قرطوش، عبد الرحمن حمور، و محمود جلال.

دمشق : مطبعة الجمهورية السورية : ١٩٥٧ .

٤- **عادل كمال خضر** : الفائدة الكلينيكية لاستخدام الرسم فى العلاج النفسى. فى مجلة علم النفس، العدد الثامن والعشرون، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ .

٥- **عادل كمال خضر** : دراسة مقارنة بين الأسوياء والجانحين على أسلوب رسم الذات والأقران والأسرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة عين شمس، ١٩٨٩ .

٦- **عبلة حنفى عثمان** : فنون أطفالنا. القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٠ .

٧- **فيولا البيلاوى** : «الأطفال واللعب»، فى مجلة عالم الفكر (الطفولة). المجلد العاشر، العدد الثالث، الكويت : مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٩ ,

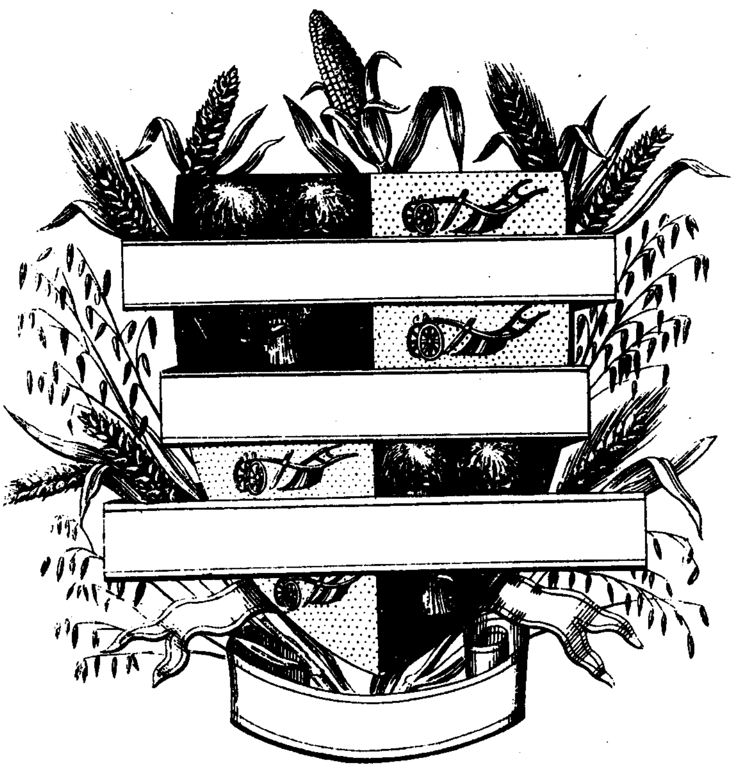
٨- **لويس كامل مليكه** : دراسة الشخصية عن طريق الرسم. الكويت : دار القلم، ١٩٩٠، ط ٦.

٩- **محمود البسيونى** : أصول التربية الفنية، القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٥، ط ٢.

١٠- **محمود البسيونى** : التربية الفنية والتحليل النفسى.القاهرة : عالم الكتب، ١٩٨٣، ط,٢

١١- **محمود البسيونى** : سيكولوجية رسوم الأطفال. القاهرة :دار المعارف، ١٩٨٤، ط٢ .

١٢- **محمود الزيادى** : علم النفى الإكلينيكى، التشخيص والعلاج. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧ .



المراجع الأجنبية

13- **Bach, S. R.:** Spontaneous Pictures of Leukemic children as an Expression of The Total Personality, Mind and Body. Psychological Abstracts, 1975, V. 54, N. 3, 5590.

14- **Campo, V. & Vilar, P.:** Clinical Usefulness of the Draw - an Animal test. Psychological Abstracts, 1978, V. 60, N. 3, 5333.

15- **Dennis,Wayne:** Group Values through children's Drawing. New York: John Wiley & Sons, Inc. 1966.

16- **Eng, Helga:** The Psychology of children's Drawings. Translated by: H. Stafford Hatfild, London: Routledge & Kegan Paul, LTD, 1954.

17- **Feather, D. B.:** An Exploratory Study in The use of Figure Drawings in a group Situation. The Journal of Social Psychology, 1953, V. 37, PP. 163-170.

18- **Gildesgame, D. P.:** Development of form and process in children' s Human Figure Drawing. Dissertation Abstracts Inter national, 1982, vol. 42, no. 7, P. 3010 - B.

19- **Gondor, Emery:** Art and Play Therapy. New York: Doubleday & Company, Inc., 1954. PP. 67-73.

20- **Goodenough, F. & Harris, D.:** Studies in The Psychology of children Drawings: II 1928 - 1949. Psychological Bulletin, 1950, V. 47, N. 5, PP. 396- 433.

21- **Goodnow, Jacqueline:** Children's Drawings. London: open Book, 1977.

22- **Halliday, D.:** Art from Within. Oxford Art Journal (UK), 1976, V. 15, N. 3, PP. 67 - 78.

23- **Hammer, E.F.:** The clinical application of projective drawing. Springfield: Charles C. Thomas, 1958.

24- **Handler, Leonard:**The Clinical Use of The Draw -A-Person Test (DAP). in Newmark, C. S. Editor, Major Psychology Assessment Instruments. Boston: Allyn and Bacon, Inc. 1985.

25- **Koppitz, E. M.:** Emotional Indicators on Human Figure Drawings of children. Journal of clinical Psychology, 1966, V. 22, PP. 313 - 315.

26- **Leroy & Derdeyn:** Drawings as a Therapeutic medium: The Treatment of Separation anxiety in a 4 - year - old boy. Psychological Abstracts, 1977, V. 57, N. 5, 10730.

27- **Machover, Karen:** Personality Projection in Drawings of The Human Figure. Springfield: charles C. Thomas. Second printing, 1949.

28- **Manloney, Michael:** The use of children's drawings in multiple family Group Therapy. Psychological Abstracts, 1983, V. 69, N. 3, 6197.

29- **Pagady, J. & Bebjakova, V.:** Interaction Relationships in Drawings by Pedopsychiatric patients. Psychological Abstracts, 1982, V. 67, N. 4, 7930.

30- **Protinsky, H.:** Children's Drawings as Emotional indicators. Elementary School Guidance and Counseling, 1978, 12, 4, PP. 249 - 255.

31- **Remotique -Ano, Nelita:** "The Hidden Agenda of Story-making Therapy". Psychological Abstracts, 1980, V. 64, N. 2, 3712.

32- **Roback, H. & Webersinn, A.:** Size of Figure Drawings of Depressed Psychiatric Patients. Journal of Abnormal Psychology, 1966, V. 71, N. 6, P. 416.

33- **Stanojevic, N. & Rodulvic,K.:** " Play Therapy and Drawing. Psychological Abstracts, 1982,V. 68, N. 4, 8559.